

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨) [الفتح: 28]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

زيادة تصديق
الرؤيا النبوية
تحقيقاً وتأكيذاً

لما أخبر الله تعالى في الآية السابقة بالأمر الجليلة الدقيقة المبنية على إحاطة العلم؛ وهي أنه قد صدق رسوله ﷺ الرؤيا بالحق، وأنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين؛ زاد هنا هذا التصديق تحقيقاً وتأكيذاً وتبشيراً للمؤمنين بفتح مكة بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾⁽¹⁾. وأيضاً فإنه لما كانت واقعة عدم دخول المسجد الحرام عام الحديبية مع إخباره ﷺ برؤياه مما تأثرت بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت عليهم حكمتها، فبين تعالى حكمتها ومنفعتها، وهكذا سائر أحكامه الشرعية؛ ذكر هنا أنها كلها هدى ورحمة⁽²⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بِالْهُدَىٰ﴾: (هدى) أصل الهدى: الرِّشَادُ والْبَيَانُ والدَّلَالَةُ بُلُطْفٍ إلى ما يوصل إلى المطلوب، وهو يُؤَنَّثُ ويذكر، وهو لازم ومُتَعَدٍّ، يُقال: هداه هدىً وهدياً وهدايةً وهديةً، وهداه للدين وإلى الدين، أي: أرشده إليه وبيّنه له، وعرفه به، ووضّده: الضلال⁽³⁾. والهداية: الإرشاد على المقصد النافع والدلالة عليه⁽⁴⁾. والمقصود بالهدى في

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 500، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 335، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 201/ 26.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 795.

(3) الأزهرى، تهذيب اللغة: (هدى)، وابن سيده، المحكم: (هدى)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (هدى)، وابن منظور، لسان العرب: (هدى)، والزبيدي، تاج العروس: (هدى)، والجرجاني، التعريفات، ص: 277، والناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 343.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 101/ 11.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ الإرشادُ إلى ما فيه خيرُ الناسِ في الحالِ والاستقبالِ، وأهمُّ ذلك: التَّوْحِيدُ⁽¹⁾.

(2) ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: (حق) تدلُّ تصريفاتها على إحكام الشيء وصِحَّتِهِ. فالحقُّ: نقيضُ الباطلِ، ثُمَّ يرجع كلُّ فرعٍ إليه بجوْدَةِ الاستخراجِ وحسنِ التلْفِيْقِ⁽²⁾، وَحَقُّ الشَّيْءِ يَحِقُّ حَقًّا؛ أي: وَجَبَ وَجُوبًا، ومنه قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: 105]، فمعنى ﴿حَقِيقٌ﴾ [الأعراف: 105]: مَحْقُوقٌ، كما تقول: واجِبٌ⁽³⁾، والحقُّ: واحدُ الحقوقِ. والحقَّةُ: أخصُّ منه. يقال: هذه حقَّتِي، أي: حقِّي⁽⁴⁾. وأصلُ الحقِّ: المُطابَقةُ والمُوافَقةُ⁽⁵⁾، ودينُ الحقِّ في قولِ الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ هو دينُ الإسلامِ⁽⁶⁾.

(3) ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾: (ظهر) تدلُّ اشتقاقاتها على قوَّةِ وَبُرُوزِ. يُقال: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظهورًا فهو ظاهرٌ؛ إذا انْكَشَفَ وَبَرَزَ. ولذلك سُمِّيَ وقتُ الظُّهْرِ والظَّهيرةُ بذلك؛ لأنَّه أَظْهَرَ أوقاتِ النَّهارِ وأضوؤُها⁽⁷⁾، والظُّهْرُ من الأرض: ما غَلَطَ وارتفع، وَمِنَ الإنسانِ والحيوانِ: خِلافُ بَطْنِهِ. وظاهرُ كلِّ شيءٍ: أعلاه⁽⁸⁾.

(4) ﴿الدِّينِ﴾: (دين) تدور تصريفاتها على جِنْسٍ مِنَ الانقيادِ والدُّلِّ⁽⁹⁾. والدِّينُ يُقال للطاعةِ والجزاءِ، واستعيرَ للشَّريعةِ، والدِّينُ كالمِلَّةِ، لكنَّه يُقال اعتبارًا بالطاعةِ والانقيادِ للشَّريعةِ⁽¹⁰⁾، ومن فروعِ استعمالِ الدِّينِ: المِلَّةُ؛ وهي عَقِيْدَةٌ لازمةٌ في القلبِ، كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، فكلُّ لفظٍ (دين) ورد في القرآن هو بِمعْنَى المِلَّةِ والعقيدةِ إلَّا ما جاء أنَّه بِمعْنَى الجزاءِ والحسابِ، كالواردِ في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 344.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).

(3) الخليل، العين: (حق).

(4) الجوهري، الصحاح: (حقق).

(5) الراغب، المفردات: (حق).

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 113.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظهر).

(8) جبل، للعجم الاشتقاقي للوصل: (ظهر).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دين).

(10) الراغب، المفردات: (دين).

﴿١﴾ [الفتح: 4] (١)، وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: لِيُعْلِيَهُ عَلَى جَنْسِ الدِّينِ، أي: المِلَّةِ جميعاً (٢).

✽ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْبَيَانِ الظَّاهِرِ الواضِحِ ودين الإسلام؛ فَجَمَعَ بِذَلِكَ بَيْنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ وَذَلِكَ لِيُعْلِيَهُ فَوْقَ الْمِلَلِ جَمِيعًا. وَيَكْفِيكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ - أَنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلَى نَصْرِهِ لَكَ، وَمُظْهِرٌ دِينَكَ عَلَى كُلِّ دِينٍ وَمِلَّةٍ (٣).

✽ الإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

عَلَّةُ فَصْلِ الْآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

فُصِّلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ﴾ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنْ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، فَجُمِلَا ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ﴾ مُؤَكَّدَةً لِلتَّحْقِيقِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ حَرْفِ (قَدْ) وَلامِ الْقَسَمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: 27] (٤). فَهِيَ تَأْكِيدٌ لَصِدْقِ رُؤْيَاهُ ﷺ، وَتَبَشِيرٌ بِفَتْحِ مَكَّةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٥). وَالْمَعْنَى: أَنَّ كَوْنَهُ ﷺ مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ بِالْحَقِّ؛ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُرِيهِ فِي مَنَامِهِ غَيْرَ الْحَقِّ، فَرُؤْيَاهُ صَادِقَةٌ.

الْغَرَضُ مِنْ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِالضَّمِيرِ ﴿هُوَ الَّذِي﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ بِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ ﴿هُوَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ عَائِدٌ إِلَى الْأَسْمِ الْأَحْسَنِ ﴿اللَّهُ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ﴾، فَكَانَ التَّعْبِيرُ بِالضَّمِيرِ

بناءً دين
الإسلام على
العلم النافع
والعمل الصالح

كون النبي ﷺ
مرسلًا بالهدى
ودين الحق
تأكيد لصديق
رؤياه

لا يغلب الغيب
إلا الله تعالى

(1) جبل، العجم الاشتقاقي للوصل: (دين).

(2) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 344.

(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير المبسر، ص: 514.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 201.

(5) أبو حيان، البحر المحیط: 9/ 500.

أَخْصَرَ لَتَقْدُمَ مَرْجِعِهِ. وَمِنْ أَسْرَارِ التَّعْبِيرِ بضمير الغيبة هنا: الإشارة إلى أَنَّ هذه الرؤيا مِنَ الْمَغِيَّاتِ الَّتِي يَتَصَرَّعُ عَلَيْهَا حَقِيقَتُهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَلِذَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا وَالْإِيمَانُ بِهَا فَوْرَ سَمَاعِهَا⁽¹⁾.

الغرض من تعريف المُسْنَدِ بالمُؤْصُولِيَّةِ ﴿الَّذِي﴾:

عُرِّفَ الْمُسْنَدُ ﴿الَّذِي﴾ بالمُؤْصُولِيَّةِ بعد تعريف المُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿هُوَ﴾ بالضمير لإفادة الاختصاص والقصر، والمعنى: هو وَحْدَهُ⁽²⁾ الذي اختَصَّ بإرسال ذلك الرسول الكريم ﷺ الموصوف بصفات الكمال، وهو الذي بعظمته خصَّه بذلك الخطب الجليل والأمر الخطير⁽³⁾، وهو وَحْدَهُ الذي يَعْلَمُ حَقِيقَةَ رُؤْيَاهُ وَأَنَّهَا صَادِقَةٌ وَمَحَقَّةٌ. ثُمَّ إِنَّ التَّعْبِيرَ بِالْمَوْصُولِ فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْ جَمْلَةُ الصَّلَةِ مِنْ كونه مرسلاً من ربه بالهدى ودين الحق، وهذا أمرٌ معلومٌ لَدَيْهِمْ، فَالتَّعْبِيرُ بِالْمَوْصُولِ يَكُونُ غَالِباً حَيْثُ يَكُونُ مَضمُونُ الصَّلَةِ معلوماً مشهوراً؛ أي: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ تَعْلَمُونَ عِلْماً كاملاً أَنَّ رُؤْيَا الرَّسُولِ ﷺ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ ﷺ لَا يَنْطِقُ فِي شَيْءٍ عَنِ الْهَوَى؛ لِأَنَّهُ مُرْسَلٌ بِالْهَدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَجِّبَ عَلَيْكُمْ تَصْدِيقَهُ فِيمَا قَالَ وَعَدَمَ التَّأَثُّرِ وَلَوْ قَلِيلاً بِقَالَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا عَلَى تَشْكِيكِكُمْ فِي صَدَقِ الرُّؤْيَا، بَلْهُ الرُّكُوعَ إِلَى كَلَامِهِمُ الْمُفْتَرَى⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالفعل الماضي ﴿أَرْسَلَ﴾:

عُبرَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿أَرْسَلَ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾؛ لِتَحَقُّقِ هَذَا الْإِرْسَالِ وَتَحَقُّقِ عِلْمِهِمْ بِهِ، فَقَدْ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ ﷻ بِرِسَالَتِهِ وَوَهَبَهُ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى صِدْقِهِ مَا يُوَجِّبُ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً تَصْدِيقَهُ.

وجوب تصديق
الشرع المنزَّل،
واجتناب مقالات
المنافقين

تحقق الإرسال
المقرَّر بالعلم
النافع والعمل
الصالح

(1) فاطمة شحاتة، من بلاغة التعبير القرآني في سورة الفتح، ص: 3197.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 335 / 18.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 417 / 14.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 201 / 26.

الغرض من الإضافة في ﴿رَسُولُهُ﴾:

أُضِيفَ لَفْظُ (رسول) إِلَى الضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ تَشْرِيفًا لَهُ ﷺ وَإِعْلَاءً لِمَقَامِهِ الزَّكَاةِ، وَتَأْكِيدًا عَلَى وَثَاقَةِ الصَّلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ.

معنى الباء ودلائلها في ﴿بِالْهُدَى﴾:

الْبَاءُ فِي ﴿بِالْهُدَى﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ لِلْمُتَلَبِّسَةِ، وَالْمَعْنَى: أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ مُتَلَبِّسًا بِالْهُدَى. وَهُوَ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْمَلَابَسَةِ تَفِيدُ كَوْنَهُ هَادِيًا عَلَى وَجْهِ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ، لَا يَنْفَكُ عَنْ ذَلِكَ أَصْلًا⁽¹⁾. وَيَجُوزُ كَوْنُهَا سَبَبِيَّةً أَوْ تَعْلِيلِيَّةً؛ أَي: أَرْسَلَهُ بِسَبَبِ الْحَقِّ أَوْ لِأَجْلِهِ⁽²⁾، فَهُوَ ﷺ أَرْسَلَ لِيَكُونَ هَادِيًا وَدَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: 45 - 46].

يسر تقييد الفعل بالجار والمجرور ﴿بِالْهُدَى﴾:

الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ ﴿بِالْهُدَى﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ؛ وَهُوَ حَالٌ مِنْ مَفْعُولِ ﴿أَرْسَلَ﴾؛ أَي: أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُتَلَبِّسًا بِالْحَقِّ، وَهَذَا عَلَى كَوْنِ الْبَاءِ لِلْمَلَابَسَةِ. وَأَمَّا عَلَى كَوْنِهَا سَبَبِيَّةً؛ فَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿أَرْسَلَ﴾ لَا بِالْمَحذُوفِ⁽³⁾. وَجُعِلَ قَوْلُهُ: ﴿بِالْهُدَى﴾ قَبْدًا لِلْفِعْلِ ﴿أَرْسَلَ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَدَى التَّلَازُمِ بَيْنَ رِسَالَتِهِ ﷺ وَالْهُدَى؛ فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِ؛ بَلْ هِيَ هُوَ. وَأَوْثَرَ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الْهُدَى دُونَ مَا سِوَاهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشُّمُولِ لِكُلِّ مَا يُحَقِّقُ النِّجَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، فَالْهُدَى اسْمٌ جَامِعٌ لِلْإِيمَانِ وَالشَّرَائِعِ كُلِّهَا؛ إِذْ الْاهْتِدَاءُ إِنَّمَا يَقَعُ

(1) القنوي، حاشية القنوي على تفسير البيضاوي: 95 / 18.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 113 / 8.

(3) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 628 / 7.

إظهار شرف
النبي ﷺ،
وإعلاء مقامه

ملازمة النبي
للهدى على
وجه الدوام

الهدى اسم
جامع للإيمان
والشرائع كلها

بها كلها⁽¹⁾. فالظاهر أنَّ المراد به ما يُعْمُ الأصول والفروع⁽²⁾. وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ الهدى هو القرآن الذي سَمَّاهُ الله تعالى: هُدًى ورحمةً ونوراً⁽³⁾، وعليه فيكون التعبير بالهدى: مجازاً مرسلًا، علاقته المُسَبِّبَةُ؛ حيثُ أُطْلِقَ المُسَبَّبُ والنَّتيجة وهو الهدى، وأريد ما كان سبباً في حصوله وهو القرآن الكريم.

معنى الواو ودلائلها في ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾:

الواو في ﴿وَدِينِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ عاطفةٌ، وغرضُ العطفِ بها الجمعُ بين كون رسالته ﷺ جامعةً بين الدَّعوة إلى الهدى ودين الحقِّ، وأنَّه مُتَلَبَّسٌ بهما. وعلى هذا جَوَّز أن يُراد بـ (الهدى) الأصول وبـ (دين الحقِّ) الأحكامُ العمليَّةُ⁽⁴⁾. وعلى القول بأنَّ المراد بالهدى القرآن؛ يكون عطفُ (دين الحقِّ) - وهو الإسلام - على (الهدى) من باب عطف العامِّ على الخاصِّ، تشريعاً للقرآن الكريم؛ وذلك من وجهين؛ أحدهما: ذِكرُهُ مرَّتين: مرَّةً منفرداً على سبيل الخُصوص، وأخرى بإدراجِهِ ضِمْنَ العامِّ. والوجه الآخر: ذِكرُهُ مقدِّماً؛ فإنَّ للتَّقديم ضرباً من ضروب الشَّرَفِ.

معنى اللام ودلائلها في ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾:

اللام في ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ من قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ هي لامُ الأجلِ والتَّعليلِ. أي: أنَّ الله سُبْحَانَهُ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بذلك؛ لأجلِ أن يكون الدِّينُ الحقُّ ظاهراً وغالباً على المللِ كُلِّها.

دلالة التعبير بالظهور مادَّةً وصيغَةً:

الظهور في قول الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ مراد به

كمالُ رسالته
بجمعها
بين العقائد
والأحكام
العمليَّة

لا ظُهور ولا عِزَّة
إلا بالدِّينِ الحقِّ

(1) الكفوي، الكليات، ص: 954.

(2) الألوسي، روح المعاني: 275 / 13.

(3) اللاتريدي، تأويلات أهل السنة: 315 / 9، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 88 / 28.

(4) الألوسي، روح المعاني: 275 / 13.

الدِّينَ الْحَقُّ
يَسْتَبِطُنْ فِي
دَاخِلِهِ الْحُجَجَ
وَالْبَرَاهِينَ عَلَى
صِدْقِهِ

العلوُّ، والمعنى: لِيُعْلِيَهُ، وهذا أصلُ مَعْنَى الظهور؛ وهو من قولهم: أَظْهَرَهُ؛ إذا جعله على ظَهْرِهِ، فهو كنايةٌ عن العلوِّ والارتفاع، وعن كونه باديًا للرائي، ثُمَّ أُطْلِقَ مجازًا على الشَّرَفِ، فصار معنى أَظْهَرَهُ: أَعْلَاهُ، ثُمَّ شاع في ذلك وصارَ حَقِيقَةً عَرَفِيَّةً⁽¹⁾، أو يكون المراد بالظهور الغلبة على كُلِّ الْمَلِّ بِالْحُجَّةِ والبرهان⁽²⁾. والظهور من لوازم الغلبة وآثارها. والتعبير بالفعل المضارع (يُظْهِرُ) يدلُّ على الاستمرار والدوام، وأنَّ دينَ الحقِّ يَسْتَبِطُنْ في داخله كُلَّ الْحُجَجِ والبراهين التي تُثَبِّتُ في كُلِّ وقتٍ أَنَّهُ الدِّينَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ في هذا الباب متجدد الأدلَّةِ، حتَّى إنَّ أَهْلَ كُلِّ عَصَرٍ يستخرجون من القرآن أدلَّةَ الصِّدْقِ ووجوهَ الإعجاز التي فَاتَتْ من سَبَقُوهُمْ، فيكون ما يَسْتَخْرِجُونَهُ وما يَقِفُونَ عليه من ذلك باعثًا على الهداية إلى الدِّينِ الْحَقِّ.

معنى ﴿عَلَى﴾ ودلائلها في ﴿عَلَى الدِّينِ﴾:

علوُّ دين
الإسلام على كُلِّ
ما سِوَاهُ مِنَ الْمَلَلِ

﴿عَلَى﴾ في قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾ للاستعلاء المجازي؛ وهو يدلُّ على قوَّةِ التَّمَكُّنِ، والمعنى: لِيُظْهِرَ دينَ الإسلام على كُلِّ الْمَلَلِ ظُهورًا تامًّا متمكنًا واضِحًّا، بحيثُ إِنَّهَا جميعًا تتلاشى بِجِوَارِهِ، وَيَبْقَى وحدهُ هو الدِّينَ الْحَقُّ الظَّاهِرُ، وكأنَّه لعلوُّ وظُهوره لا توجَدُ معه مِلَّةٌ أُخْرَى، ولخَفَافَتُهَا وَضَعْفُهَا كَأَنَّ لا وجودَ لها في الواقع. وفيه أيضًا أَنَّ اللَّهَ تعالى ناصرُ رسوله ﷺ بِنُصْرَةِ دينه؛ فَإِنَّ فعلَ الإِظْهَارِ إذا عُدِّي بحرف الجرِّ ﴿عَلَى﴾؛ كان مُضْمَّنًا معنى النَّصْرِ أو التَّفْضِيلِ؛ أي: لِيُنْصِرَهُ على الْمَلَلِ كُلِّهَا، وليكونَ أَشْرَفَ الْمَلَلِ وَأَغْلَبَهَا⁽³⁾.

معنى اللّام ودلائلها في ﴿الدِّينِ﴾:

اللام في ﴿الدِّينِ﴾ من قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي: 68/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 202/26.

(2) للتريدي، تأويلات أهل السنة: 315/9.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 173/10.

شمول لفظ
(الدين) للملئ
كلها حقاً كانت
أو باطلاً

هي لام الجنس⁽¹⁾؛ بحيث يشمل كل ما يسمّى ديناً؛ لأنّ علوّه كان على جميع الدين، لم يكن على بعضه دون بعض. والمراد بالدين: ما يُدان به من الشرائع والمِلل فيشمل الحقّ منه والباطل⁽²⁾. فأما الحقّ منه؛ فكالشرائع الإلهيّة المنزلة على الأنبياء السابقين، وإظهاره عليها يكون بنسخ بعض أحكامها لا نسخ أصولها؛ لأنّ الأصول في جميع الشرائع الإلهيّة واحدة لا تقبل النسخ، وأما ظهوره على الباطل منه؛ فإنّه يكون ببيان بطلانه، أو بالتسليط على أهله⁽³⁾. وفي الجملة تبشير المؤمنين وفضل تأكيد لما وعد الله تعالى به من الفتح، وفيها توطئ لنفوس المؤمنين على أنّه سبحانه سيفتح لهم من البلاد، ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلّون إليه فتح مكة⁽⁴⁾.

الغرض من التوكيد في ﴿كَلِمَةً﴾:

الغرض من لفظ (كل) في قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ التأكيد على أنّ المراد بالدين هنا الجنس، فينقطع بذلك احتمال أن يكون المراد به العهد؛ لأنّ لفظ (كل) من صيغ العموم.

معنى الواو ودلائلها في ﴿وَكَفَى﴾:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ استئنافيّة، والجملة بعدها مستأنفة⁽⁵⁾. وغرض الاستئناف تأنيس الرسول ﷺ وتثبيت قوّاده اطميناناً إلى مراقبة الله تعالى له واعتناؤه به.

وفي قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ إظهار في موضع الإضمار؛ وذلك لأنّ مقتضى الظاهر أن يرد النظم القرآني: (وكفى به شهيداً)، كما أضمر في قوله قبل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾، والغرض من الإظهار

غلبة الإسلام
على كل دين

تأنيس النبي
وطمأننة
قلبه

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 254 / 9.

(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي: 68 / 8.

(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي: 68 / 8، والاكوسي، روح المعاني: 275 / 13.

(4) الزمخشري، الكشاف: 346 / 4، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 114 / 8.

(5) الدعاس، إعراب القرآن: 248 / 3.

استحضارُ الاسمِ الأحسن (الله) الدالُّ على عظمة الذات الإلهية، وذلك في مقام الجلال والقدرة والهيبة؛ يُؤكِّد على صدق رسوله ﷺ في رؤياه وفي رسالته؛ فهو سبحانه المؤيد له، والشاهد على غلبة دينه دين الحق⁽¹⁾.

الغرض من التذييل بجملة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾:

أدلة النبوة
مظهرة للحق
مبينة له

قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ تذييل جارٍ مجرى المثل؛ لاستقلاله بالإفادة، وعدم افتقاره إلى ما قبله في الكشف عن أصل المراد به. والغرض من جملة التذييل تثبيت قلب النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، فالمعنى: امض يا رسول الله في طريقك ولا تلتفت إلى أقوالهم. وكفى بالله عليك وعليهم شهيدا، فإنه سبحانه لا يخفى عليه أمرُك وأمرهم⁽²⁾. أو المعنى: كفى بالله شهيدا على رسالته ﷺ؛ لأنه ادعى الرسالة وأظهر الله تعالى الآيات والبراهين على يده لتصديق دعواه، وذلك شهادة منه تعالى عليها. وتسمية الآيات وأدلة النبوة شهادة هو من باب المجاز؛ بأن تكون الشهادة مستعارة - لبيانها وإظهارها الحق - للبراهين. والجامع بينهما مطلق البيان، والبيان في المشبه به بالعبارة، وفي المشبه بالدلالة⁽³⁾. وفي الآية تسلية له ﷺ عما وقع من سهيل بن عمرو في صلح الحديبية؛ إذ لم يرَضَ بكتابة "محمد رسول الله" وقال ما قال⁽⁴⁾.

معنى الباء ودلالاتها في ﴿بِاللَّهِ﴾:

تأكيد كون الله
تعالى شهيدا
على تصديق
رسوله ﷺ

الباء في ﴿بِاللَّهِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ يُراد بها التوكيد، والاسم الأحسن (الله) هو فاعل (كفى) وهو مرفوع محلاً مجرور لفظاً. وقوله: ﴿شَهِيدًا﴾ تمييز أو حال⁽⁵⁾. وذهب بعض

(1) فاطمة شحاتة، من بلاغة التعبير في سورة الفتح، ص: 3200.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 231/3.

(3) القانوني، حاشية القانوني على تفسير البيضاوي: 96/18.

(4) الألوسي، روح المعاني: 275/13.

(5) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 332/1، والخرائط، المجتبى: 1215/4، وصافي، الجدول: 269/26.

أهل العربية إلى أن الفاعل في الجملة مُضْمَر، والتقدير: كفى هو؛ أي: الاكتفاء بالله، فلا تكون الباء على هذا صلة، و﴿بِاللَّهِ﴾ - على هذا الوجه - في موضع نصب لا رفع، ويتعلق إذ ذاك بالفاعل. وهذا الوجه لا يسوغ إلا على مذهب الكوفيين؛ حيث إنهم يجيزون إعمال ضمير المصدر كإعمال ظاهره⁽¹⁾.

الغرض من تنكير لفظ ﴿شَهِيدًا﴾:

نكر لفظ ﴿شَهِيدًا﴾ في جملة التذييل ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ تفخيماً وتعظيماً؛ ليحصل كمال الاطمئنان في قلوب المؤمنين إلى وعد الله سبحانه، وتحصل الخيبة في قلوب المنافقين المرجفين، فيكفي أن يكون الله تعالى وحده شهيداً على صدق الرؤيا وتحققها، وعلى صدق الدين الذي أرسل به رسوله ﷺ. ولما كان المقصود من قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الشهادة بأن الرؤيا صدق؛ دليل ذلك بقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: أجزأتكم شهادة الله تعالى بصدق الرؤيا إلى أن تروا ما صدقها في الإبان⁽²⁾.

❁ الفروق المعجمية:

الإرسال والبعث:

عبر بالإرسال دون البعث في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، فلم يرد النظم القرآني هنا: (هو الذي بعث رسوله)؛ لما يدل عليه لفظ الإرسال من كون المرسل إنما هو محمل برسالة؛ أي: إن الله تعالى قد أرسل نبيه محمداً ﷺ إلى الناس كافة برسالة قوامها الهدى والدين الحق. وهذا ما سوغ التعبير بالإرسال وإيثاره على التعبير بالبعث، فإن الإرسال نص في الدلالة على الرسالة؛ فإنك تقول: أرسلت فلاناً إلى

تعظيم شهادة
الله تعالى
وتفخيمها

التعبير بالإرسال
يفتضي وجود
رسالة ونحوها،
بخلاف البعث؛
فلا يلزم فيه
ذلك

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 1/332، وأبو حيان، البحر الحيط: 3/523.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/202.

فلان؛ إذا حملته برسالةٍ إليه أو حملته خبراً، وما أشبه ذلك. وأما التعبير بالبعث؛ فإنه لا يقتضي ذلك ولا يستلزمه، فقد "يبعث الرجل إلى الآخر حاجة تخصه دونك، ودون المبعوث إليه؛ كالصبي تبعثه إلى المكتب، فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالةٍ وما يجري مجراها"⁽¹⁾. وهذا الفرق قد تشكل عليه آيات إرسال الرياح، كما هو ظاهر، إلا إن قيل: إن إرسال الرياح يكون برسالة يفهمها الله تعالى إياها ويفهمها الأرض الميتة، ولكن هذا من الغيب الذي لا يمكن الجراءة عليه إلا بدليل من الشرع.

وفرّق بعض أهل العلم بينهما من وجه آخر؛ وهو أن الإرسال أخص من البعث؛ من جهة أن "الإرسال يفيد معنى البعث مع العلو"⁽²⁾.

وفي تفسير المنار: تقرير للفرق من جهة أخرى؛ وهو أن البعث أبلغ من الإرسال؛ "لأنه يفيد معنى الإثارة والإزعاج إلى الشيء المهم، ولم يذكر في القرآن إلا في بعث الموتى، وفي الرسالة العامة؛ أي: بعث عده من الرسل، وفي بعثة نبينا وموسى خاصة، وكذا في بعث نبياء بني إسرائيل، وبعث من انتقم منهم وعدّ بهم وسباهم حين أفسدوا في الأرض"⁽³⁾.

ويشكل عليه ذكر إرسال الرياح للعذاب في مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ [الإسراء: 69]، وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41]، ولم يستعمل معه البعث.

وأظهر من هذا كله ما ذكره ابن الزبير الغرناطي من أن الفعل (أرسل) أخص في باب الإرسال من البعث؛ "إذ لا يقال: أرسل، إلا فيما كان توجيهاً، فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازاً، أما (بعث) فأوسع؛ فإنه يقع بمعنى الإرسال، وبمعنى الإحياء، ومنه: البعث الأخرى"⁽⁴⁾.

وبناءً عليه؛ فالبعث أكثر معاني من الإرسال، فيلتقيان في معنى، ويفرد البعث بمعنى آخر، وإذا جمع بينهما بمعنى يراد به التنويع في العبارة والتفنن فيها.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 289.

(2) النيسابوري، غرائب القرآن: 3/ 302.

(3) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 34/ 9.

(4) الغرناطي، ملاك التأويل: 1/ 216.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: 29]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 28] ،
بِإِحَاطَةِ الْعِلْمِ بِالْخَفَايَا وَالظُّوَاهِرِ فِي الْإِخْبَارِ بِالرَّسَالَةِ؛ عَيْنُهَا
فِي قَوْلِهِ جَوَابًا لِّمَنْ يَقُولُ: (مَنْ الرَّسُولُ الْمُنَوَّهَ بِاسْمِهِ؟): ﴿مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ﴾ (1).

تعيين الرسول
بعد التنويه به

لَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ فِي رُؤْيَاهُ، وَاطْمَأَنَّتِ نَفُوسُ
الْمُؤْمِنِينَ؛ أَعَقَبَ ذَلِكَ بِتَنْوِيهِ شَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالتَّنَاءِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ مَعَهُ (2).

التنويه بالرسول
والمؤمنين بعد
بيان صدق
الرسول

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَشِدَّاءُ﴾: أَصْلُ (شَدَدٌ) يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ (3)، وَمِنْ
ذَلِكَ: الشَّدَّةُ، وَهِيَ الصَّلَابَةُ، وَالنَّجْدَةُ، وَثَبَاتُ الْقَلْبِ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 337/18.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 202/26، والزحيلي، التفسير للنير: 205/26.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شدد).

شديد، أي: شجاع⁽¹⁾، وشَدَّ الله مَلَكُهُ، وشَدَّدَهُ: قَوَّاهُ⁽²⁾، والمرادُ بـ ﴿أَشَدَّاءُ﴾ هنا: جمعٌ شديدٍ، وهو الموصوفُ بالشَّدَّةِ المعنويَّةِ، وهي صلابَةُ المعاملةِ وقساوتُها⁽³⁾.

(2) ﴿رُحَمَاءُ﴾: أصلُ (رحم) يدلُّ على الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأْفَةِ، يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ: رَحِمَهُ يَرْحُمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ⁽⁴⁾، والرَّحْمَةُ: اسمُ مَصْدَرٍ لصفة الرَّاحِمِ، وهي من صِفاتِ الإنسان، فهي رِقَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْعُثُ عَلَى سَوَقِ الْخَيْرِ لِمَنْ تَتَعَدَّى إِلَيْهِ⁽⁵⁾، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْبَارِي تَعَالَى؛ فَلَيْسَ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْإِحْسَانُ الْمُجَرَّدُ دُونَ الرِّقَّةِ، وَعَلَى هَذَا رَوَى أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّهِ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالٌ، وَمِنَ الْأَدْمِيِّينَ رِقَّةٌ وَتَعَطُّفٌ⁽⁶⁾، والرُّحَمَاءُ فِي الْآيَةِ: جَمْعُ رَحِيمٍ، مَبَالِغَةٌ فِي الْإِتِّصَافِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ. وَمَعْنَاهُ: مَحَبَّةٌ إِصْصَالُ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ إِلَى الْآخِرِينَ⁽⁷⁾.

(3) ﴿يَبْتَغُونَ﴾: أصلُ (بغى) يدلُّ على طَلَبِ الشَّيْءِ، وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ: بَغَيْتُ الشَّيْءَ، أَي: طَلَبْتُهُ، وَبَغَيْتَكَ الشَّيْءَ، أَي: طَلَبْتُهُ لَكَ، وَالْبَغْيَةُ: الْحَاجَةُ⁽⁸⁾، وَالْبَاغِي: الَّذِي يَطْلُبُ الشَّيْءَ الضَّالَّ، وَأَبْغَاهُ الشَّيْءَ: طَلَبَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَى طَلَبِهِ⁽⁹⁾. وَالِابْتِغَاءُ: الْإِتِّخَاذُ، تَقُولُ: ابْتَغَيْتُ الْبَيْتَ سَكَنًا لِي، أَي: اتَّخَذْتُهُ⁽¹⁰⁾، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْاجْتِهَادِ فِي الطَّلَبِ⁽¹¹⁾، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا⁽¹²⁾.

(4) ﴿فَضَلًا﴾: أصلُ (فضل) يدلُّ على زِيَادَةٍ فِي شَيْءٍ⁽¹³⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْفَضْلُ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَالْخَيْرُ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الشَّرَفِ وَالرِّزْقِ، وَرَجُلٌ فَاضِلٌ: ذُو شَرَفٍ وَرِزْقٍ وَخَيْرٍ⁽¹⁴⁾، وَالْإِفْضَالُ: الْإِحْسَانُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: رَجُلٌ مُفْضِلٌ⁽¹⁵⁾، وَأَمَّا الْمُتَفَضِّلُ؛ فَهُوَ الْمُدَّعِي لِلْفَضْلِ عَلَى

(1) الخليل، العين: (شدد).

(2) الزبيدي، تاج العروس: (شدد).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 204/26.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/26.

(6) الراغب، المفردات: (رحم)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 53/3.

(7) طنطاوي، التفسير الوسيط: 204/14.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغى).

(9) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بغى/بغا).

(10) الخليل، العين، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (بغا/بغى).

(11) الراغب، المفردات: (بغى).

(12) ابن عطية، للحرر الوجيز: 141/5.

(13) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (فضل).

(14) الزبيدي، تاج العروس: (فضل).

(15) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).

أقرانه⁽¹⁾، ويأتي الفضلُ بمعنى بَقِيَّةِ الشَّيْءِ، والجمعُ: أَفْضَالٌ⁽²⁾، والمرادُ به هنا: الثَّوَابُ⁽³⁾، أي: ثواب الجنة.

(5) ﴿وَرِضْوَانًا﴾: أصلُ (رضي) يدلُّ على خلافِ السُّخْطِ⁽⁴⁾، ومنه الرِّضا: القَبُولُ والموافقةُ⁽⁵⁾، ويأتي بمعنى الاختيارِ والانتقاءِ، يُقالُ: رَضِيَ بهذا الطريقِ، أي: احْتَارَهُ⁽⁶⁾، والرِّضوانُ: الرِّضا الكاملُ الشَّدِيدُ⁽⁷⁾، ولما كان أعظمُ الرِّضا رضا الله تعالى خصَّ لفظَ الرِّضوانِ في القرآن بما كان من الله تعالى، قال ﷺ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 27]، وقال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: 29]⁽⁸⁾، ورضا العبدِ عن الله هو ألاَّ يَكْرَهُ ما يَجْرِي به قضاؤُهُ، ورضا الله عن العبدِ: هو أن يراه مُؤْتَمِرًا لأمره، ومُنْتَهِيًا عن نَهْيِهِ⁽⁹⁾، والمرادُ بالرِّضوانِ هنا: الرِّضا العظيمُ⁽¹⁰⁾.

(6) ﴿سِيمَاهُمْ﴾: أصلُ (وسم) يدلُّ على أثرٍ ومَعْلَمٍ⁽¹¹⁾، ومن ذلك: الوَسْمُ، وهو التَّأثيرُ، والسَّمةُ: الأثرُ، يُقالُ: وَسَمْتُ الشَّيْءَ وَسْمًا، أي: أَثَرْتُ فِيهِ بِسْمَةٍ، أي: علامةً⁽¹²⁾. والسيما يَأُوهَا في الأصلِ وأُو، وهي العلامةُ يُعَرَفُ بها الخيرُ والشرُّ، قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: 273]⁽¹³⁾، والوَسْمِيُّ: أوَّلُ المطرِ؛ لأنَّه يَسِمُ الأرضَ بالنباتِ، وَسَمِيَ موسِمٌ الحاجُّ موسِمًا؛ لأنَّه مَعْلَمٌ يَجْتَمِعُ إليه النَّاسُ، والسَّوْمَةُ، بالضَّمِّ، العلامةُ تُجْعَلُ على الشَّاةِ وفي الحَرْبِ أيضًا⁽¹⁴⁾، والمرادُ بـ﴿سِيمَاهُمْ﴾ هنا: علامتهم التي لا

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فضل).

(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (فضل).

(3) للراغب، تفسير الراغب: 26 / 114.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي).

(5) ابن منظور، لسان العرب، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (رضي).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وسم).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10 / 149.

(8) الراغب، المفردات: (رضي).

(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رضي).

(10) البقاعي، نظم الدرر: 7 / 215، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 114.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وسم).

(12) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (وسم).

(13) ابن منظور، لسان العرب: (وسم).

(14) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وسم).

تُفَارِقُهُمْ⁽¹⁾، وهي أثرٌ محسوسٌ للسُّجودِ، أو الأثرُ النَّفْسِيُّ لَهُ، أو أثرٌ يظهرُ في وجوههم يومَ القيامةِ⁽²⁾.

(7) ﴿شَطْءُهُ﴾: أصلُ (شَطَأ) يدلُّ على شَطْءِ النَّبَاتِ، وهو أن يَنْبَتَ في أصلِ الزَّرْعِ ما هو أصغرُ منه، والأصلُ شاطئُ الوادي: جانبه، وشاطأتُ الرَّجُلُ: مشيت على شاطئٍ، ومشى هو على الشَّاطِئِ الآخر⁽³⁾، والشَّطْءُ: فُرُوحُ الزَّرْعِ، وهو ما خرجَ منه، وتفرَّعَ في شاطئيه، أي: جانبيه، وجمعه: أَشْطاء، ويقالُ: شَطَأَ الزَّرْعُ، وأشطا؛ إذا أخرجَ فِراخَهُ، وهو في الحنطةِ والشَّعِيرِ والنَّخْلِ وغيرها⁽⁴⁾، فالمرادُ بالشَّطْءِ في الآية: فِراخُ الزَّرْعِ وفُروعُ الحَبَّةِ وما خَرَجَ حَوْلَ أَصُولِهِ⁽⁵⁾.

(8) ﴿فَأَزَرَهُ﴾: أصلُ (أَزَرَ) يدلُّ على القوَّةِ والشَّدَّةِ⁽⁶⁾، قال ابن الأعرابي: الأَزَرُ: القوَّةُ، والأَزَرُ: الظَّهْرُ، والأَزَرُ: الضَّعْفُ، وبها فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرَى﴾⁽⁷⁾ [طه: 31]، وأصله من شدَّ الإزارَ، وأزرت البناءَ وأزرتَه: قوَّيت أسافله، وأزرتَه ووازرتَه: صرت وزيره، وأصله الواو⁽⁸⁾، ومن ذلك أيضًا يقالُ: تَأَزَّرَ النَّبْتُ، أي: قوِيَ، واشتدَّ⁽⁹⁾، والأَزَرُ: القوَّةُ الشَّديدةُ، وأزَرَهُ: أعانَهُ، وقوَّاهُ، وهو المرادُ هنا⁽¹⁰⁾.

(9) ﴿فَأَسْتَغْلَظَ﴾: أصلُ (غَلَظَ) يدلُّ على عِظَمِ الجُرْمِ وتجسُّمه مع صلابَةٍ⁽¹¹⁾، ومن ذلك: الغِلْظَةُ ضدُّ الرِّقَّةِ⁽¹²⁾، واستَغْلَظَ النَّبَاتُ والشَّجَرُ، وأغْلَظَتِ الثَّوبَ وغيره؛ إذا وجدته غليظًا، واستَغْلَظَتِ الثَّوبَ: إذا تركتُ شِراءَهُ لِغِلْظِهِ، وتغليظُ اليَمِينِ: تشديدها وتوكيدها،

(1) ابن عطية، البحر الوجيز: 5/ 141، والبقاعي، نظم الدرر: 7/ 216.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 205.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شطأ).

(4) الراعي، تفسير الراعي: 26/ 114.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 216، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 208.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أزر).

(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: 14/ 390.

(8) الراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (أزر).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أزر).

(10) الخليل، العين، والراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (أزر)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 295، والنيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان: 6/ 154.

(11) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلظ).

(12) الراغب، المفردات: (غلظ).

وَرَجُلٌ غَلِيظٌ: فَظٌ ذو غِلْظَةٍ⁽¹⁾، و(استغلظَ) هنا معناه: صارَ غليظًا⁽²⁾ بعد أن كان رقيقًا، وهو المراد هنا⁽³⁾.

10 ﴿فَاسْتَوَى﴾: أصلُ (سوي) يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بينَ شيئينِ⁽⁴⁾، والتَّسْوِيَةُ: تَقْوِيمُ الشَّيْءِ وَتَعْدِيلُهُ⁽⁵⁾، والاستواء في كلامِ العربِ على وجهين: أحدهما أن يستوي الرجلُ، وينتهي شبابه وقوته، أو يستوي عنِ اعوجاجٍ⁽⁶⁾، فهذان وجهان، ووجهٌ ثالثٌ أن تقول: كانَ فلانٌ مُقْبِلًا على فلانٍ، ثمَّ استوى عليَّ واليُّ يُشَاتِمُنِي⁽⁷⁾، والاستواء في الآية معناه: الاعتدال والاستقامة، والمراد بقوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُقَّةٍ﴾، أي: فاستقام وتكامل على سيقانه التي يعلو عليها⁽⁸⁾.

11 ﴿سُقَّةٍ﴾: أصلُ (سوق) يدلُّ على حَدْوِ الشَّيْءِ⁽⁹⁾، وَمِنْ ذَلِكَ يَقَالُ: سَقَّتَهُ سَوْقًا⁽¹⁰⁾، والسَّاقُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ: مَا بَيْنَ الْكَعْبِ وَالرُّكْبَةِ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَسَاقُ عَلَيْهَا⁽¹¹⁾، وَيُقَالُ: امْرَأَةٌ سَوْقَاءٌ، وَرَجُلٌ أَسْوَقٌ؛ إِذَا كَانَ عَظِيمَ السَّاقِ⁽¹²⁾، ومنه أيضًا السَّوْقُ: معروفةٌ، وَسُمِّيَتْ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تُسَاقُ إِلَيْهَا وَمِنْهَا⁽¹³⁾، والسَّوْقُ: جَمْعُ سَاقٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ؛ لِأَنَّ سَاقًا لَيْسَ بِوَصْفٍ، وَهُوَ اسْمٌ عَلَى زِنَةٍ فَعَلَ بِفَتْحَتَيْنِ، وَسَاقُ الزَّرْعِ وَالشَّجَرَةِ: الْأَصْلُ الَّذِي تَخْرُجُ فِيهِ السُّبُلُ وَالْأَغْصَانُ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا⁽¹⁴⁾.

12 ﴿الْكَفَّارَ﴾: أصلُ (كفر) يدلُّ على السَّتْرِ والتَّغْطِيَةِ⁽¹⁵⁾، وقد وُصِفَ اللَّيْلُ بِالْكَافِرِ

(1) الأزهرى، تهذيب اللغة: (غلظ).

(2) الجوهري، الصحاح، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (غلظ).

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 115/8.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).

(5) الجوهري، الصحاح: (سوي).

(6) ابن منظور، لسان العرب: (سوي).

(7) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سوي).

(8) طنطاوي، التفسير الوسيط: 288/13.

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوق).

(10) الخليل، العين: (سوق).

(11) الزبيدي، تاج العروس، وابن فارس، مقاييس اللغة: (سوق).

(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوق).

(13) ابن عباد، المحيط في اللغة: (سوق).

(14) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 209/26.

(15) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).

لَسْتَرَهُ الْأَشْخَاصَ، وَالزَّارِعُ لَسْتَرَهُ الْبَذَرَ فِي الْأَرْضِ، وَكَفَرُ النِّعْمَةِ وَكَفَرَانُهَا: سَتَرَهَا بِتَرْكِ آدَاءِ شُكْرِهَا⁽¹⁾، وَالْكَفَرُ: نَقِيضُ الْإِيمَانِ⁽²⁾، وَالْمَرَادُ بِالْكَفَارِ هُنَا: الْمَشْرُكُونَ⁽³⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ، وَيَصِفُ أَتْبَاعَهُ، فيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَتْبَاعُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: غَلِيظَةُ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ، رَقِيقَةُ قُلُوبٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا أحيانًا لِلَّهِ فِي صَلَاتِهِمْ، سُجَّدًا أحيانًا، يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَيُدْخِلَهُمْ جَنَّتَهُ، وَأَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ، عَلَامَتُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ فِي صَلَاتِهِمْ، هَذِهِ الصِّفَةُ هِيَ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَةِ.

وَأَمَّا صِفَتُهُمْ فِي إِنْجِيلِ عِيسَى؛ فَهِيَ: صِفَةُ زَرْعٍ، أَخْرَجَ فَرَاخَهُ، فَقَوَّى الزَّرْعَ، وَأَعَانَهُ، فَغَلَطَ الزَّرْعُ، فَاسْتَوَى عَلَى أَصُولِهِ، يُعْجِبُ هَذَا الزَّرْعُ - فِي تَمَامِهِ، وَحُسْنِ نَبَاتِهِ، وَبُلُوغِهِ وَانْتِهَائِهِ - الَّذِينَ زَرَعُوهُ وَغَيْرِهِمْ، فَعَلَ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ: لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، فَكَذَلِكَ مَثَلُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَاجْتِمَاعُ عَدِيدِهِمْ، حَتَّى كَثُرُوا، وَغَلَطَ أَمْرُهُمْ، كَهَذَا الزَّرْعِ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمَلُوا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْجَبَهَا عَلَيْهِمْ، وَعَدَّهُمُ اللَّهُ عَفْوًا عَمَّا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَثَوَابًا جَزِيلًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ⁽⁴⁾.

❖ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

عَلَّةُ الْفَصْلِ فِي مَطْلَعِ الْآيَةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﷺ مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ أو ﴿أَشِدَّاءُ

مُحَمَّدٌ هُوَ رَسُولُ
الْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ

(1) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (كُفِرَ).

(2) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّاحِبُ: (كُفِرَ).

(3) ابْنُ عَطِيَّةٍ، لِلْحَرِّ الْوَجِيزِ: 5/ 143.

(4) ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 22/ 261.

عَلَى الْكَفَّارِ؛ أو خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ، تقديرُهُ: هو مُحَمَّدٌ، و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ بدلٌ أو عطفٌ ببيان أو نعت، والمقصودُ بهذه الجملة بيانُ مَنْ هو رسولُ الله، لِمَنْ اشتاق إلى معرفته بعد أن ذُكر ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الفتح: 27]، إلى قوله تعالى: ﴿يُظَاهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهٖ﴾ [الفتح: 28]، فالمتلقي كالمتشاق إلى بيان مَنْ هذا المُتحدِّثُ عَنْهُ بهذه الأخبار؟ فيقال له: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، أي: هو كذلك، فكانت هذه الجملة مسوقةً مساقَ الاستئنافِ البياني، الَّذِي يَجِبُ معه غِيَابُ العاطفِ في صدرِ الكلامِ.

دلالة الاسميّة في ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾:

جاءَ بالجملة الاسميّة في قوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾؛ للدلالة على أن اتّصافه ﷺ بالرسالة أمرٌ ثابتٌ بلا شكٍّ، مهما أنكر المنكرون، وافترى الجاحدون⁽¹⁾.

نكتة الإيجاز في ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾:

إذا كانَ ﴿مُحَمَّدٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ تقديرُهُ: (هو مُحَمَّدٌ)؛ ففي الكلام إيجازٌ بحذفِ المسندِ إليه حذفًا ورد الاستعمالُ به، كقولهم بعدَ أن يذكروا رجلاً: فتى من شأنه كذا وكذا، وهو أن يذكروا الديارَ أو المنازلَ ربيعَ كذا وكذا؛ لأنَّ المقصودَ هنا بيانُ رسولِ الله مَنْ هو بعدَ الإخبارِ عنه في الآيةِ السابقة⁽²⁾.

بلغة الإضافة في ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾:

إضافةُ الرَّسولِ إلى اسمِ الجلالة في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾؛ لتعظيمِ الرَّسولِ ﷺ وتبجيله؛ لأنَّه رسولُ العظيمِ ﷻ، وعلى إعرابِ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عطفَ بيانٍ لقوله: ﴿مُحَمَّدٌ﴾، تكون في الإضافة إشارةٌ إلى أن على المسلمين ألاَّ يسمّوا نبيَّهُم ﷺ باسمه

بيان المراد
برسول الحق
والهدى بعد
التشويق إليه

رسول العظيم
عظيم الشأن

(1) الراعي، تفسير الراعي: 26 / 115.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26 / 202.

المجرّد، بل يكون (رسول الله) عندهم في كثرة الدّوران بمنزلة البيان لاسمه تعظيماً وتبجيلاً⁽¹⁾.

وعُبرَ باسم الجلالة «الله» دون غيره من الأسماء لاشتماله على صفات العظمة والجلال والكمال، فهو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء والصفات، فيكون أنسب بمقام تشريفه وتعداد شيء من مناقبه ﷺ.

دلالة الواو في «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ»:

قد تكون الواو في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» استئنافيةً، والجملة بعدها مستأنفة، والغرض منها الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ⁽²⁾، وذكر المرسل إليهم بعد ذكر الرسول⁽³⁾. ويجوز أن يقال: «مُحَمَّدٌ» مبتدأ، و«رَسُولُ اللَّهِ» عطف بيان سيق للمدح، و«الَّذِينَ مَعَهُ» عطف على «مُحَمَّدٌ»، و«أَشِدَّاءُ» خبره، كأنه تعالى قال: (محمدٌ والَّذِينَ مَعَهُ جميعهم أشدّاء على الكفار رُحَمَاءُ بينهم)؛ لأن وصف الشدّة والرّحمة وُجد في جميعهم⁽⁴⁾.

غرض التعبير بالموصول:

عُبرَ بالموصول في قول الباري ﷻ: «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ»؛ للتّوصّل بما في حيز الصّلة إلى تشريف الصّحابة ﷺ بالصّحبة والمعيّة، وللايماء إلى أنّهم قد اشتُهِروا بهذا الوصف، وعُرفوا به، وفي هذا كمال مدحهم.

نكتة التعبير بالمعيّة:

جاء بالمعيّة في قوله جلّ ذكره: «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ»؛ لتشريف جميع الصّحابة ﷺ بوصف كونهم مع النّبي ﷺ⁽⁵⁾، والمراد

ذكر المرسل
إليهم بعد ذكر
الرّسول

تشريف
الصّحابة بوصف
الصّحبة

الصّحابة أوّل
مطيع للنّبي
ومؤيد له

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 96 / 18.

(2) ابن عطية، لحرر الوجيز: 140 / 5.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 339 / 18.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 88 / 28.

(5) الطيبي، فتوح الغيب: 417 / 14.

المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد⁽¹⁾، ولتشريف غيرهم أيضًا من أمة الإجابة بوصف المعية التي هي معية أتباع، لا معية زمان.

بلادة التعبير بالشدة:

عبر بالشدة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾؛ للدلالة على شدة شكيمة الصحابة رضي الله عنهم في الحق، وأنهم لا تأخذهم في الكفار رافة ولا لومة لائم⁽²⁾، ثم تكون أحكام الشدة على الكفار من وجوب وندب وإباحة، وأحكام صحبتهم ومعاملتهم، جارية على مختلف الأحوال التي قررها علماء الإسلام⁽³⁾.

شدة شكيمة
الصحابة في
الحق

معنى ﴿عَلَى﴾ ودلالة التعبير بها:

جاء بحرف الجر ﴿عَلَى﴾ الدال على الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾؛ للتنبيه على أن شدة الصحابة رضي الله عنهم تستعلي على الكفار استعلاءً مجازيًا، فهي حاضرة في كل مجالات التعامل معهم، كأنها تحيط بهم، وفي ذلك تنبيه على أنه لا ينبغي التساهل في أمور الدين.

لا ينبغي
للمؤمن
التساهل في
دينه

دلالة تعريف ﴿الْكُفَّارِ﴾:

الظاهر أن تعريف الكفار في قوله تعالى شأنه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ للجنس الشامل لجميع أفرادهم، فالصحابة أشدّاء على كل الكافرين الذين يقفون في وجه دعوة الحق، وبهذا يتم التقابل بين هؤلاء الكفار ومن مع رسول الله محمد بالاتباع، في كل عصر ومصر وجنس.

شدة الصحابة
وأهل الإيمان
بعدهم على كل
معاند للحق

سر التعبير بـ﴿الْكُفَّارِ﴾:

عبر بـ(الكفار) دون (الكافرين)، في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى

تناغم ألفاظ
الآية مع كمال
إيصال المقصود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 203 / 26.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 339 / 18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 204 / 26.

﴿الْكَفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾؛ لَأَنَّهُ أَنْسَبُ بِالتَّنَاغُمِ الصَّوْتِيَّ مَعَ ﴿أَشَدَّاءُ﴾ و﴿رُحَمَاءُ﴾، ولإظهارِ كمالِ إيمانِ أتباعِ الرُّسُولِ بتسليطِ الشَّدَّةِ على الأقوى؛ لأنَّ (كُفَّار) على وزن (فُعَّال)، وهو من أوزان المبالغة، فيثبت شدَّتُهُم للآدنى منهم في الكُفْرِ.

نكتة التعبير بالرحمة:

عُبرَ بالرحمة في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾؛ للتبنيهِ على ما بين الصَّحَابَةِ ﷺ مِنَ المودَّةِ والألفةِ، وذلك من رسوخِ أُخُوَّةِ الإيمانِ بَيْنَهُمْ في نفوسِهِمْ⁽¹⁾.

بلاغة التكميل في ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ من أسلوبِ التَّكْمِيلِ، فَإِنَّهُ لو اكتفى بقوله: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾؛ لأوْهَمَ الفِظَاظَةَ والعِلَظَةَ، فاحترَسَ مِنْ ذلك بقوله: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾، يعني أَنَّهُمْ - مع كونِهِمْ أَشَدَّاءَ على الأعداءِ - رُحَمَاءُ فيما بَيْنَهُمْ، أَصْحَابُ وَقَارٍ وترَحُّمٍ⁽²⁾.

بلاغة تعليق ﴿رُحَمَاءُ﴾ مع الظرف (بين):

تعلق ﴿رُحَمَاءُ﴾ في قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ مع الظرفِ (بين) المفيدِ للمكانِ الدَّاخلِ وسطاً ما يُضَافُ هُوَ إِلَيْهِ، تَبْيَهُ على انبثاثِ التَّراحِمِ فِيهِمْ جميعاً، مع اختلافِ الزَّمانِ والمكانِ، فَهُم كالجسدِ الواحدِ⁽³⁾.

بلاغة فصل ﴿تَرْتَهُمْ﴾:

فَصَلَ قوله تعالى: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ عمَّا قبله؛ لَأَنَّهُ خَبَرُ آخَرٍ لـ (الذين)، أو استئنافٌ⁽⁴⁾، وكلُّهُمَا مَوْجِبٌ للفصلِ، فالجملَةُ - على الإعرابِينَ - بيانٌ لحالٍ آخَرَ مِنْ أحوالِهِمْ.

الصَّحَابَةُ
أَصْحَابُ وَقَارٍ
وترَحُّمٍ فيما
بَيْنَهُمْ

أَهْلُ الْإِيمَانِ
كالجسدِ الواحدِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 204 / 26.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 418 / 14.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 205 / 26.

(4) الألوسي، روح المعاني: 277 / 13.

بلغة تعيين المخاطب في ﴿تَرْهُمْ﴾:

يحتمل قوله: ﴿تَرْهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ أن يكون خطاباً للنبي ﷺ، ويحتمل أن يكون خطاباً لكل من يتأتى منه الرؤية⁽¹⁾، وهذا أبلغ لإشعاره بأن حالهم قد تناهت في الظهور، بحيث لا تخفى على أحد.

دلالة المضارعة في ﴿تَرْهُمْ﴾:

جاء بصيغة المضارع في قوله ﷺ: ﴿تَرْهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾: للتنبية على استمرار الرؤية وتجديدها؛ لأنهم مُسْتَعْلُونَ بالصلاة في أكثر أوقاتهم⁽²⁾، أي: تراهم - كلما شئت أن تراهم - رُكْعًا سُجَّدًا⁽³⁾.

بلغة المجازي في ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾:

التعبير بالركوع والسجود في قوله تعالى: ﴿تَرْهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ مجاز مرسل عن الصلاة⁽⁴⁾، بإطلاق الجزء وإرادة الكل، وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات، مفروضها ونافلتها⁽⁵⁾.

بلغة صيغة (فعل):

عبر بصيغة (فعل) في قوله تعالى: ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾ - ولم يقل: (راكعين ساجدين) - للمبالغة، أي: مبالغين في الركوع والسجود، وهذه المبالغة تقرير لواقع صلاتهم، لا للزيادة على معناها الثابت لهم، وفي ذلك تنبيه على شدة اجتهادهم في العبادة، وديمومتها على جهة القوة.

علة ترك العطف في ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾:

ترك العطف في قوله تعالى: ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾ - ولم يقل: (رُكْعًا وَسُجَّدًا) - لأنهما عبارة عن الصلاة⁽⁶⁾، فهما بمنزلة شيء واحد.

عبادة الصحابة
ظاهر معلومة

كثرة إقبال
الصحابة على
العبادة

الكمل ومن
المؤمنين دائمو
الخضوع لله
تعالى

شدة اجتهاد
الصحابة في
التقرب إلى الله
بالصلاة

(1) النيسابوري، غرائب القرآن وרגائب الفرقان: 153 / 6.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 132 / 5، والخفاجي، عناية القاض: 68 / 8.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 205 / 26.

(4) الخفاجي، عناية القاض: 68 / 8، والآلوسي، روح المعاني: 277 / 13.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 205 / 26.

(6) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 97 / 18.

صدور الصلاة
عن الصحابة
بكثرة مؤكدة

سر الجمع بين الركوع والسجود:

الركوع والسجود في قوله ﷻ: ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾ عبارة عن الصلاة، وهما من الأجزاء التي ينتهي الكل بانتفائها، وكل واحد منهما كافٍ في ذلك، لكن في الجمع بينهما مزيد استظهار⁽¹⁾، وهذا أبلغ في الثناء عليهم؛ تناسباً مع سياق تقرير أوصافهم الحسنة في الآية، ودلالة على كمال خضوعهم لله ﷻ.

غرض تقديم الركوع على السجود:

قدّم الركوع على السجود في قوله تعالى ذكره: ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾؛ لأنه في الواقع يكون قبله⁽²⁾، وإبلاغاً في تعيينهم، بتعيين ما خصت به الصلاة في شريعتهم.

بلاغة موقع جملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾:

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، إمّا خبر آخر، أو حال من ضمير ﴿تَرْهَمُ﴾، أو حال من المستتر في ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾، أو استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود، كأنه قيل: ماذا يريدون بذلك؟ فقيل: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾⁽³⁾، وأياً ما كان؛ ففيه بيان أن غايتهم فضل الله ورضوانه.

نكتة التعبير بالمضارع في ﴿يَبْتَغُونَ﴾:

جاء بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾؛ للدلالة على تجديد الابتغاء واستمراره وتكراره، فهم يجددون في أنفسهم ذلك الابتغاء، كلما أقبلوا على عمل خير وبرٍّ، وفي ذلك ما لا يخفى من التثوية برفعة شأنهم وعلو هممتهم في فعل الخير.

غاية الصحابة
فضل الله
ورضوانه

علوهممة
الصحابة في
فعل الخير

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 97/18.

(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 97/18.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 114/8، والآلوسي، روح المعاني: 277/13.

دلالة صيغة الافتعال في «يَبْتَغُونَ»:

عُبرَ بصيغة الافتعال في قوله جلَّ ذكره: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا»؛ للتنبيه على أَنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ يبذلون غايةَ جُهدهم في طلبِ فضلِ الله ورضوانه، بالصَّلَاةِ وغيرها مِنَ العباداتِ والقُرْبَاتِ، ووجوهِ الخير⁽¹⁾.

نكتة تنكير «فَضْلًا»:

نَكَرَ القرآنُ كلمة «فَضْلًا» في قوله ﷺ: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا»؛ للتَّعْظِيمِ، أي: (فضلاً عظيمَ الشَّانِ)، ولا غَرَوُ في ذلك، فإنَّ عطاءَ الله لا يُحَدُّ، ولا يُقَادَرُ قَدْرُهُ.

سرُّ التعبيرِ بِالْفَضْلِ:

أَوَثَرَ الفضلُ دُونَ غيره في قوله جلَّ ذكره: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا»؛ لِلتَّأْنِ عَلَيْهِم بِأَنَّهُمْ - مع أَنَّهُمْ يواظِبُونَ على الطَّاعاتِ - يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الثَّوَابَ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى، لا أَجْرٌ على العملِ؛ لأنَّ العاملَ كأَجِيرٍ يأخُذُ الأَجْرَ قَبْلَ العملِ، وفي هذا البيانِ إيماءٌ إلى اعترافهم بتقصيرهم، وترغيبٌ للمُؤْمِنِينَ العاملينَ في هذهِ الخصلةِ المحمودَةِ⁽²⁾.

معنى «مِّنَ»، ودلالة التعبير بها في «مِّنَ اللَّهِ»:

«مِّنَ» في قولِ الباري ﷻ: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا»؛ لِأَبْتَدَاءِ، فَتَفِيدُ أَنَّ ابْتِدَاءَ الفضلِ والرَّضْوَانِ مِنَ اللَّهِ ﷻ، فهو مُفِيضٌ الخيراتِ والبركاتِ، وفي ذلك كمالُ إدراكِ للخالقيَّةِ والمخلوقيَّةِ، فَالتَّوْحِيدُ في نفوسهم جِدُّ عالٍ وصافٍ.

بلادةُ التعبيرِ باسمِ الجلالة:

عُبرَ باسمِ الجلالةِ دُونَ غيره في قوله جلَّ من قائلٍ: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا»؛ لزيادةِ تعظيمِ الفضلِ بأنَّه من ذي العظمةِ

اجتهادُ الصَّحَابَةِ
في فِعْلِ الخيرِ

عطاءُ الله واسعٌ
جداً

الثَّوَابُ مَخْصُصٌ
كَرَمٌ مِنَ اللَّهِ

تميُّزُ الصَّحَابَةِ
بِكَمالِ
توحيدهم لله

الكَمَلُ مِنَ
المُؤْمِنِينَ
يعتقدون أَنَّ
المحسنَ هو الله
تعالى وحدهُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 339/18.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 89/28، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 98/18.

الَّذِي لَهُ الْإِحَاطَةُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، الَّذِي أَعْطَاهُمْ مَلَكَةَ الْغِلْظَةِ عَلَى الْكَفَّارِ، بِمَا وَهَبَهُمْ مِنْ جَلَالِهِ، وَالرَّقَّةَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي هَيَّأَهُمْ بِهَا لِلْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ، فَصَارُوا يَرُونَهُ وَحْدَهُ سَيِّدَهُمُ الْمُحْسَنَ إِلَيْهِمْ⁽¹⁾.

دلالة التَّنْكِيرِ فِي «وَرَضُونَا»:

نُكِّرَ الرِّضْوَانُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضُونَا»؛ لِبَيَانِ عَظَمَتِهِ وَفَخَامَتِهِ، بِقَرِينَةِ كَوْنِهِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ كُلُّ كَمَالٍ، وَيَنْتَفِي عَنْهُ كُلُّ نَقْصَانٍ، أَيْ: وَرَضُونَا عَظِيمَ الشَّانِ، وَأَيُّ شَأْنٍ أَعْظَمُ مِنَ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ غَايَةُ كُلِّ عَبْدٍ؟

بِلاغَةُ فَصْلِ «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ»:

فُصِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ» عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِاتِّصَالِهِ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «تَرْلَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضُونَا»، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ كَثْرَةَ عِبَادَتِهِمْ وَإِخْلَاصَهُمْ فِيهَا؛ ذَكَرَ عِلَامَةً كَثَرَتِهَا، فَبَيْنَهُمَا كَمَالُ اتِّصَالٍ.

دلالة الاسميَّة:

عُبِّرَ بِالْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ»؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَحَقُّقِ مَضْمُونِهَا، وَأَنَّ وَجُودَ السَّيِّمَةِ فِي وَجُوهِهِمْ أَمْرٌ ثَابِتٌ.

بِلاغَةُ التَّعْبِيرِ بِالسَّيِّمَةِ:

عُبِّرَ بِالسَّيِّمَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ»؛ لِذَلَالَتِهَا عَلَى الْعِلَامَةِ الَّتِي تُمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا تَكَادُ تَفَارِقُهُمْ؛ نَتِيجَةً لِإِثْبَاتِ الْأَوْصَافِ السَّابِقَةِ لَهُمْ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ، فَهِيَ مِنْ: سَامَهُ؛ إِذَا أَعْلَمَهُ⁽²⁾، وَذَلِكَ أَثَرُ الْعِبَادَةِ فِي وَجُوهِهِمْ؛ إِذْ تَكْسُوهَا مَهَابَةً وَحُسْنًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ فِيهِمَا مَعًا.

التَّغْيِبُ الْعَظِيمُ
فِي طَلِبِ رِضْوَانِ
اللَّهِ تَعَالَى

ظُهُورُ أَثَرِ
الْعِبَادَةِ فِي وَجْهِ
الْعَابِدِ الْكَثِيرِ
مِنْهَا

الْعِبَادَةُ تُمَيِّزُ
صَاحِبَهَا عَنْ
غَيْرِهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18 / 339، والشربيني، السراج للنير: 4 / 57.

(2) البياضوي، أنوار التنزيل: 5 / 132.

نكتة الإضافة في ﴿سَيِّمَاهُمْ﴾:

إضافة السَّيِّمَةِ إلى ضمير مَنْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾؛ للتنبيه على اختصاص السَّيِّمَةِ بِهِمْ، وَأَنَّهَا تَكُونُ فِيهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَأَنَّهَا "علامتهم الَّتِي لَا تَفَارِقُهُمْ"⁽¹⁾، وهذا يشمل الصَّحَابَةَ الْكَرَامَ ﷺ، وَمَنْ نَهَجَ نَهَجَهُمْ.

آثَارُ الْعِبَادَةِ
الصَّادِقَةِ لَا
تَفَارِقُ صَاحِبَهَا

معنى ﴿فِي﴾، ودلالة التعبير بها:

يدلُّ التَّعْبِيرُ بِحَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ ﴿فِي﴾ في قوله ﷺ: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ عَلَى أَنَّ وَجْهَ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَمَنْ تَبَعَ الرَّسُولَ ﷺ، مَحَلٌّ لِهَذِهِ الْعَلَامَةِ الْمُمَيِّزَةِ لَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَهَذِهِ السَّيِّمَةُ تَمَلَأُ جَمِيعَ أَجْزَاءِ الْوَجْهِ، وَهَذِهِ نَتِيجَةُ وَاضِحَةٍ لِتَقْرِيرِ الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْمَبَالِغَةِ؛ تَأْكِيدًا لِمَدْحِهِمْ.

وَجْهَ الصَّحَابَةِ
مَحَلُّ الْأَنْوَارِ
الْإِيمَانِيَّةِ

بلادةً المجاز في ﴿وُجُوهِهِمْ﴾:

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْوَجْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾: الْجَبَاهُ، وَالْوَجْهُ مُجَازٌ مُرْسَلٌ فِي الْجَبَاهِ، ذِكْرُ الْكُلِّ، وَأُرِيدَ الْجُزْءُ؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْعَلَامَةَ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي جَبَاهِهِمْ، كَأَنَّهَا فَاضَتْ، فَسَرَتْ إِلَى وُجُوهِهِمْ⁽²⁾، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْوَجْهُ عَلَى ظَاهِرِهَا⁽³⁾، وَهَذَا هُوَ الْأَبْلَغُ فِي تَقْرِيرِ كَمَالِ عِبَادَتِهِمْ، فَالْوَجْهُ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ، إِذْ فِيهِ يَظْهَرُ بَوَاطِنُهُ، وَآثَارُ مَا يُخْفِيهِ.

امْتَلَأَتْ
وُجُوهُهُمْ أَنْوَارًا؛
كَمَا امْتَلَأَتْ
قُلُوبُهُمْ مَحَبَّةً
وَخُضُوعًا

دلالة الإضافة في ﴿وُجُوهِهِمْ﴾:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ للاختصاص، وهي بمعنى اللَّامِ، أَي: فِي وُجُوهِهِمْ دُونَ وَجْهِ غَيْرِهِمْ، وَهَذَا إِبْلَاجٌ فِي تَمْيِيزِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَتَشْرِيفٌ لَهُمْ بِمَا تَبَوَّؤُوا بِهِ مِنَ الْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ

وَجْهَ الصَّحَابَةِ
مَخْتَصَّةٌ بِسَيِّمَةِ
الْخَيْرِ

(1) الشربيني، السراج المنير: 4/ 57.

(2) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 98.

(3) الألوسي، روح المعاني: 13/ 277.

في صحبة خير الخلق ﷺ، وجزاء لهم على إيمانهم الراسخ وعملهم الصالح، ويقاس عليهم من كان على صفتهم وحالهم.

معنى ﴿مِنْ﴾، ودلالة التعبير بها:

﴿مِنْ﴾ في قوله ﷺ: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: بيانيّة، كأنه قيل: (سيماهم التي هي أثر السُّجود)، وفي التعبير بها من التشويق لبيان هذه السّما ما فيه⁽¹⁾.

علّة التعبير بالأثر:

عُبر بالأثر في قوله ﷺ: ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾؛ للدلالة على ما يفعله السُّجود بوجوههم من الإنارة والوقار، وهو ظاهر بمنزلة آثار المسير، وفي ذلك ما فيه من تعظيم شأن السُّجود.

نكتة الإضافة في ﴿أثر السُّجود﴾:

وجه إضافة الأثر إلى السُّجود في قوله جلّ ذكره: ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أنّه حادث من التأثير الذي يؤثّر السُّجود⁽²⁾، وفيها تعظيم هذا الأثر، وأنّه علامة القرب من الله، فإنّ العبد أقرب ما يكون من ربّه، وهو ساجد، وأنّ هذا الأثر ليس شيئاً واحداً، بل هو السّمة التي تكون في جبهة السّجّاد الذي لا يسجد إلّا خالصاً لله ﷻ، وهو صُفرة الوجه من خشية الله تعالى، وهو ندى الطهور وتراب الأرض، وهو استنارة الوجه، من طول الصّلاة بالليل، وهو ظهور نور الإيمان في الوجه⁽³⁾، إلى غير ذلك الكثير.

دلالة تعريف السُّجود:

تعريف السُّجود في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾؛ للجنس، أي: من أثر الجنس المسمّى بالسُّجود، ومألّ المعنى: من أثر سجودهم،

السُّجود رفعة
لشأن المؤمن

الأثر نتيجة
السُّجود

سجود الصحابة
هو السُّجود
الكامل التامّ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 132/5، والخفاجي، غاية القاض: 68/8.

(2) الألويسي، روح المعاني: 277/13.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 172-173.

وفي ذلك أنَّ سجودهم هو السُّجود النَّمُوذَجُ المعتدُّ به، كأنَّه طُبِقَ السُّجود المأمور به شرعاً.

سرُّ إفراد السُّجود بالذكر:

أُفِرِدَ السُّجود بالذكر في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَمَرَ السُّجُودَ﴾؛ للتَّنبِيهِ على أَفْضَلِيَّتِهِ مِنْ بَيْنِ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ⁽¹⁾، ولا عَجَبَ في ذلك، فهو غايةُ الخضوع والاستكانة لله ﷻ؛ لأنَّ الوجهَ إنَّما يسجد لله بصدقٍ بعدَ سُجود القلبِ له، وإذا سجد القلبُ له تعالى؛ كانَ العبدُ ساجداً لله بكليَّته.

علَّةُ الفصل:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ عمَّا قبله؛ لأنَّ فيه تقريراً لما قبله؛ بالإشارة للبعيد، ويذكر المثل الذي يُطْلَقُ على الوصفِ العجيب، فبينهما كمالُ اتِّصالٍ، والغرضُ من هذه الجملةِ الإشارةُ إلى علوِّ شأنِ وصفِ المؤمنينَ بعدَ إتمامِ الحديثِ عنه، وبيانِ أنَّه لا يقدرُ عليه أحدٌ إلاَّ مَنْ صَفَّاهُ اللهُ مِنْ جَمِيعِ حَظوظِهِ وشهواتِهِ⁽²⁾.

بلادةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿ذَلِكَ﴾:

الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾، راجعةٌ إلى الوصفِ المذكورِ مِنْ قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى هنا⁽³⁾، وفي التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ مَعَ قُرْبِ العهدِ بالمشارِ إليه، إِيذانٌ بعلوِّ شأنه، وبُعْدِ منزلته في الفضلِ⁽⁴⁾.

بلادةُ التَّعبيرِ بالمثَلِ:

عُبرََ بالمثَلِ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾؛ لأنَّ معناه: الوصفُ العجيبُ الشَّانِ⁽⁵⁾، الَّذِي فِيهِ غَرَابَةٌ⁽⁶⁾، ولذلك يجري مَجْرَى

أَفْضَلِيَّةُ السُّجُودِ
مِنْ بَيْنِ أَرْكَانِ
الصَّلَاةِ

تَعْظِيمُ شَأْنِ
وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ
بَعْدَ إِتْمَامِ
الْحَدِيثِ عَنْهُ

وَصْفُ الْمُؤْمِنِينَ
عَظِيمُ الشَّانِ

الصَّحَابَةُ قُدُوةٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ
بَعْدَهُمْ

(1) القونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 98 / 18.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 341 / 18.

(3) البضاوي، أنوار التنزيل: 132 / 5.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 114 / 8، والخفاجي، عناية القاضى: 68 / 8.

(5) الزمخشري، الكشاف: 348 / 4.

(6) القونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 99 / 18.

الأمثال⁽¹⁾، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وفي ذلك ما فيه من التنويه بحالهم، وحث السامعين على الاقتداء بهم.

معنى ﴿في﴾، ودلالة التعبير بها:

التَّوْرَةُ محلُّ ذكرِ
المَثَلِ

يدلُّ التعبيرُ بحرفِ الظَّرْفِيَّةِ في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ على أنَّ التَّوْرَةَ ظرفٌ لذكرِ هذا المَثَلِ، وهذا يعني كمالَ وضوحٍ ذِكْرَ النَّبِيِّ وصحابته في التَّوْرَةِ، ممَّا يعني التَّبَشِيرَ بمجيئه ﷺ، فكان عليهم أن يؤمنوا به إذا حضروا في زمانِ إرساله، والجائرُ والمجرورُ حالٌ من ﴿مَثَلُهُمْ﴾، والعاملُ معنى الإشارة⁽²⁾.

دلالة تعريف التَّوْرَةِ:

تعريفُ التَّوْرَةِ في قوله جلَّ من قائل: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ للعهدِ الذَّهْنِيِّ؛ إذ المرادُ بها الكتابُ المخصوصُ الَّذِي أُنْزِلَ على موسى ﷺ.

معنى الواوِ في ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾:

ذِكْرُ مَثَلٍ آخَرَ
لَهُمْ

يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرُهُ: ﴿كَزْرَعٍ﴾، فَيُوقَفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾؛ فهما مَثَلَانِ، جُعِلَتْ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَةِ أَنَّهُمْ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ... إلخ، وَصِفَتُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّهُمْ كَزْرَعٍ ... إلخ، وَهَذَا مِنْ عَطْفٍ مَعْنَى عَلَى مَعْنَى. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الْأَوَّلِ، فَيَكُونُ مَثَلًا وَاحِدًا فِي الْكِتَابَيْنِ، وَيُوقَفُ حِينَئِذٍ عَلَى: ﴿الْإِنْجِيلِ﴾⁽³⁾، وَتَكَرَّرَ: (مَثَلُهُمْ) لَتَأْكِيدِ غَرَابَتِهِ وَزِيَادَةِ تَقْرِيرِهَا⁽⁴⁾، وَقَوْلُهُ: ﴿كَزْرَعٍ﴾ خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مُضْمَرٌ، أَي: مَثَلُهُمْ كَزْرَعٍ، فُسِّرَ بِهَا الْمَثَلُ الْمَذْكُورُ، أَوْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي: (مَثَلُهُمْ)، أَي: مِمَّا تَلَيْنَ زَرْعًا هَذِهِ صِفَتُهُ، أَوْ نَعْتُ مَصْدَرٍ مَحذُوفٍ، أَي: تَمَثِيلًا كَزْرَعٍ⁽⁵⁾.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 115/8، والآلوسي، روح المعاني: 278/13.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 278/13.

(3) الطيبي، فتوح الغيب: 418/14.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 115/8، والشوكاني، فتح القدير: 6/5.

(5) السمين الحلي، الدر للصون: 722/9.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"